

## دور الخلافات في الأسرة الأموية في سقوط الدولة

٤١ - ١٣٢ هـ / ٦٦١ - ٧٥٠ م

(دراسة تاريخية)

عثمان إسماعيل الطل

أستاذ مشارك، كلية الآداب - دائرة التاريخ - جامعة القدس (أبو ديس)، فلسطين

(قدم للنشر في ١٤ / ١ / ١٤٣٦ هـ، وقبل في ١٧ / ٨ / ١٤٣٦ هـ)

الكلمات المفتاحية: الأسرة الأموية، خلافات الأسرة الأموية، سقوط الدولة الأموية. ملخص البحث: تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على دور الخلافات في داخل الأسرة الأموية في سقوط الدولة، وقد تناولت الدراسة بشكل مباشر جذور الخلافات الأموية منذ قيام الدولة وحتى سقوطها، بعكس غالبية الدراسات السابقة التي تناولت ذلك بطريقة غير مباشرة، أو من خلال دراسة دور ولاية العهد في انقسام الأسرة الأموية، أو دراسة الخلافات داخل الأسرة الأموية في سقوط الدولة فقط، الفترة المتأخرة فقط من الحكم الأموي.

### مقدمة

وشيعية، ثم ظهور الدعوة العباسية، وأسباب داخلية لها علاقة بالأسرة الأموية نفسها، كانغراس البعض منهم في: اللهو والترف أو انقسام الأسرة على نفسها بسبب نظام ولاية العهد وغير ذلك.

تعددت أسباب سقوط الدولة الأموية، وتراوحت ما بين أسباب اقتصادية، وأسباب سياسية متمثلة في تصاعد العصية القبلية وثورات المعارضة من خوارج

الأموية في بلاد الشام، ولكنها لم تتناول إلا السبع السنوات الأخيرة من الحكم الأموي (١٢٥ - ١٣٢ / هـ ٧٤٢ - ٧٥٠ م)، وهي الفترة التي كانت الدولة فيها على وشك السقوط، وعليه، فإنها تعبر فقط عن فترة الضعف والانهيار وليس عن كل فترة الحكم الأموي.

وتتناول هذه الدراسة الخلافات في داخل الأسرة الأموية ودورها في سقوط الدولة، وتكمن أهميتها في أنها تنفرد في دراسة أثر الخلافات والانقسامات في البيت الأموي في سقوط الدولة الأموية بطريقة مباشرة، وذلك منذ قيام الدولة وليس في المرحلة المتأخرة فقط، هذا فضلاً إلى أنها تعد محاولة لدراسة أحد الجوانب المهمة، التي قد تميظ اللثام عن مدى الأهمية والدور الذي لعبه هذا العامل في سقوط الدولة، وعليه، تتبين إمكانية تحيد مدى أهمية ودور باقي العوامل الأخرى التي اختلف الدارسون كثيراً في ترتيبها من حيث الأهمية.

هذا وقد اعتمدت الدراسة على المصادر التاريخية بصفة رئيسة، وذلك عبر جمع ومناقشة الروايات التي تناولت الخلافات في داخل الأسرة الأموية ومناقشتها، وإبراز مدى تأثيرها على وحدة وتماسك الأسرة الأموية، ومقدار الدور الذي لعبته هذه الخلافات في سقوط الدولة.

وقد تناولت الدراسات الحديثة أسباب سقوط الدولة الأموية، ونجد ذلك في معظم الدراسات التي كتبت عن العصر الأموي، ولكن هذه الدراسات لم تعطِ الأسباب الداخلية وبخاصة الدور الذي لعبه الخلاف داخل الأسرة الأموية وانقسامها على نفسها في سقوط الدولة حقها من الدراسة والبحث. هذا ومالت غالبية الدراسات الحديثة إلى اعتبار أن هذا العامل كان له الدور الرئيس والمركزي في السقوط، معتبرين أن نظام ولاية العهد وسعي الخلفاء إلى عزل ولاية عهدهم، فضلاً إلى تعيين اثنين قد زاد من حدة الخلاف والشقاق داخل الأسرة (ذوقان، وجيه لطفي، ٢٠٠٥، ص ٤؛ إبراهيم، سمر محمدي السيد، ٢٠١٠)<sup>(١)</sup>.

هذا في حين أن دراسة عبد الأمير دكسن (عبد الأمير دكسن، ١٩٩٤: ١٦٧ - ١٧٦) قد تناولت الانقسامات في البيت الأموي وأثرها في نهاية الخلافة

(١) لم يتسن الحصول إلا على ملخص هذه دراسة سمر محمدي السيد إبراهيم حيث أكدت فيه الباحثة أن ولاية العهد أولاً، أو ولاية العهد لاثنين كان أشد بلاءاً وسوءاً، ترتب عليه انشقاق البيت الأموي وخاصة في عهد الوليد بن يزيد (الفترة المتأخرة من الحكم الأموي)، حيث بدأ الانهيار الفعلي للأسرة الأموية والذي كان لمنصب ولاية العهد دوراً في ذلك السقوط والانهيار.

ولاية العهد، وبايع بها لولديه عبد الملك وعبد العزيز، والأكثر من ذلك، فقد كان يفحش بالقول لخالد ويسخف به عند الناس بغرض التصغير من شأنه والخط من مكانته فيكف عن المطالبة بالخلافة (الطبري: ١٩٧٢ : ٥ : ٦١٠ - ٦١٢؛ اليعقوبي: ٢٠١٠ : ٢ : ١٧٣؛ الدينوري: ب، ت: ٢ : ١٣ - ١٤).

أمّا عمر بن عبد العزيز (حكم: ٩٩ - ١٠١ هـ) فقد اتهم بني مروان بأنهم قد دسوا من سقاه سمًا؛ لأنهم خافوا أن يحول الخلافة عنهم بعد أن وعد عمر رسول شوذب الخارجي<sup>(٣)</sup> الذي ناظره بأنه سوف يعيد النظر في مسألة ولاية العهد التي كان يتولاها يزيد بن عبد الملك (حكم: ١٠١ - ١٠٥ هـ)، فقد جاء في الطبري، قال أبو عبيدة: "أحد الرجلين اللذين بعثها شوذب

= يتولى الخلافة بعده، ولكن عبد الملك قام بقتله بعد ذلك. (ابن سعد: ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م : ٣ : ٤٣٧ - ٤٣٨؛ البلاذري: ١٩٣٦ : ٥ : ١٣٨ - ١٤٩؛ الدينوري: ب، ت: ١ : ١٧٥ - ١٧٦ : ٢ : ٩ - ١٣، ١٥ - ١٩، ٢٣ - ٢٥).

(٣) شوذب الخارجي: رجل من الخوارج، اسمه بسطام من بني يشكر، خرج على عمر بن عبد العزيز، ثم توقف عن الخروج بعد أن أرسل رجلين ناظرًا عمر في سبب خروجه عليه. (الطبري: ١٩٧٢ : ٦ : ٥٥٥ - ٥٥٦).

## الاتهام بالقتل

اعتزل معاوية الثاني بن يزيد بن معاوية الخلافة سنة ٦٤ هـ وخطب الناس موضحًا لهم أنه حاول تطبيق مبدأ الشورى بالافتداء بأبي بكر وعمر بن الخطاب، لكنه لم يجد رجلًا جديرًا بالخلافة كعمر حين عينه أبو بكر، ولا رجلًا مثل الستة المبشرين بالجنة الذين ترك عمر بن الخطاب الأمر شورى ليختاروا واحدًا منهم وقال: "فأنتم أولى بأمركم فاختروا له من أحببتم. ثم دخل منزله ولم يخرج إلى الناس، وتغيّب حتى مات. فقال بعض الناس: دس إليه فسقى سمًا، وقال بعضهم: طعن (الطبري، ١٩٧٢ : ٥ : ٥٣٠ - ٥٣١). يظهر من هذا النص أن هناك من يتهم الأمويون بأنهم وراء إنهاء حياة معاوية بالسم أو الطعن.

عندما توفي مروان بن الحكم (حكم: ٦٤ - ٦٥ هـ)، اتهم البعض زوجته فاختة (أم خالد بن يزيد بن معاوية) بقتله خنقًا، أو بلبن مسموم معللين سبب ذلك بقيام مروان بعزل ابنها خالد بن يزيد من ولاية العهد وتعيين ابنه مكانه، إذ قام مروان بخلع ولي عهده خالد بن يزيد وعمر بن سعيد الأشدق<sup>(٢)</sup> من

(٢) عمرو بن سعيد الأشدق: من رجال بني أمية، ولي المدينة المنورة ليزيد بن معاوية، كان محبوبًا في بلاد الشام، خرج على عبد الملك بن مروان فصالحه عبد الملك على أن =

بالسم أو الطعن، وقد ناقش الدكتور نبيه عاقل هذه الروايات مطولا، ومال إلى رفض هذه الروايات؛ لأنه يعتقد أنه وفقا لهذه الرواية فإن معاوية الثاني قد تنازل عن الخلافة بمحض اختياره، وبالتالي ليس هناك ما يبرر سمه أو طعنه ما دام أنه ليس خصمًا لأحد (نبيه عاقل: ١٩٧٥ : ١٢٠ - ١٢١). ولعل ما يرجح هذا هو أن بني أمية بعد وفاة يزيد بن معاوية واعتزال ابنه معاوية للحكم، لم يكونوا متفقين على مرشح لتولي الخلافة لاضطراب أحوالهم، وأن مروان بن الحكم نفسه كان يريد بيعة عبد الله بن الزبير<sup>(٤)</sup> (الطبري: ١٩٧٢ : ٥ : ٥٣٠، ٥٤٠)، وقد رشَّح الأمويون الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ولكنه توفي بالطاعون، فرشحوا عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان إلا أنه رفض وانحاز إلى خاله

إلى عمر ممزوج مولى بني شيبان، والآخر من صليبية بني يشكر - قال: فيقال: أرسل نقرأ فيهم هذان، فأرسل إليهم عمر: أن اختاروا رجلين؛ فاختاروهما، فدخلنا عليه فناظرناه، فقالا له: أخبرنا عن يزيد لم تفره خليفة بعدك؟ قال: صيره غيري؛ قالوا: أفرأيت لو وليت مالا لغيرك ثم وكلته إلى غير مأمون عليه، أترأيت كنت أدت الأمانة إلى من ائتمنتك! قال: فقال: أنظراني ثلاثاً، فخرجنا من عنده، وخاف بنو مروان أن يخرج ما عندهم وفي أيديهم من الأموال، وأن يخلع يزيد، فسدوا إليه من سقاه سماً، فلم يلبث بعد خروجها من عنده إلا ثلاثاً حتى مات". (الطبري، ١٩٧٢ : ٦ : ٥٥٥ - ٥٥٦).

أمّا السيوطي فيعلل سبب إقدام بني مروان على دس السم لعمر بن عبد العزيز مرده إلى قيام عمر بالتشديد على بني أمية، وردة لمظالمهم فيقول: "شدد عليهم وانتزع من أيديهم كثيراً مما غصبوا وكان قد أهمل التحرز فسقوه سماً". (السيوطي: ٢٠٠٣ : ١٥٩). كما يورد اليعقوبي أن إبراهيم بن الوليد (حكم بضعة أشهر فقط عام ١٢٧ هـ) قد سقى أخيه الخليفة يزيد بن الوليد سماً (اليعقوبي: ٢٠١٠، ٢: ٢٦٦).

يظهر من هذه النصوص أن هناك من يتهم الأمويين بأنهم وراء إنهاء حياة معاوية الثاني بن يزيد

(٤) عبد الله بن الزبير: والده الزبير بن العوام، خرج على يزيد بن معاوية، وبويع بالخلافة بعد استشهاد الحسين بن علي في كربلاء، وانتهت ثورته في خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٧٣ هـ. (الطبري: ١٩٧٢ : ٥ : ٣٣٨ - ٣٤٧، ٤٧٤ - ٤٧٧ : ٦ : ١٨٧ - ١٩٣؛ الدينوري: ب، ٢ : ٢٣ - ٢٥؛ ابن عبد ربه: ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٦ م : ٥ : ١٦٢ - ١٦٨؛ خليفة: ١٩٩٣ هـ / ١٤١٤ م : ٢٠٦).

بن يزيد بن معاوية لحدائثة سنه (الطبري: ١٩٧٢ : ٥ : ٥٣٥ - ٥٣٧؛ فلهاوزن : ١٩٦٨ : ١٧٨).

أمّا مروان بن الحكم، فيظهر أن كبر سنه واحتمال وفاته في أي وقت، وصعوبة تولي خالد بن يزيد بعده جعل عمرو بن سعيد الأشدق يردد عند الناس: " إنَّ هذا الأمر لي من بعد مروان"، يعني أن الخلافة سوف تؤول إليه مع أنه كان يعلم أنه ولي عهد خالد بن يزيد. ولعلَّ هذا هو نفس السبب الذي دفع حسان بن مالك بن بحدل<sup>(٨)</sup> إلى تأييد مروان فيما أقدم عليه من خلع كلِّ من خالد بن يزيد وعمرو بن سعيد من ولاية العهد

عبد الله بن الزبير<sup>(٥)</sup>. (المسعودي : ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م : ٣ : ٨٦ ؛ ٦٤٠ ؛ ابن كثير : ٢٠١٠ : ٨ : ٣٤٠ ؛ الدينوري : ب، ت : ٢ : ١١، ولم يتم ترشيح مروان الحكم للخلافة إلا بعد قدوم عبيد الله بن زياد<sup>(٦)</sup> من العراق ونصيحته لمروان بأن لا يقدم على بيعه ابن الزبير وأن يطرح نفسه مرشحا للخلافة (الطبري : ١٩٧٢ : ٥ : ٥٣٠ : ٥٣٤ : ٥٤٠ - ٥٤١ ؛ فلهاوزن : ١٩٦٨ : ١٧٢)، فأجمع بنو أمية ومن معهم عليه في مؤتمر الجابية<sup>(٧)</sup> متجاوزين خالد

(٥) يقول الدينوري عن تنازل معاوية الثاني ووفاته وترشيح عثمان بن عنبسة : "..... ما سعدت بحلاوتها، فكيف أشقى بمرارتها، ثم هلك رحمه الله ولم يستخلف أحدا. فقالوا لعثمان بن عنبسة : تقدم فصل بالناس، فأبى. وقال: لا. أما أنا فلا حق بخالي عبد الله بن الزبير، فقال له ابن زياد : إن هذا ليس بزمان خالك ولا عمك". (الدينوري: ب، ت : ج ٢، ص ١١).

(٦) عبيد الله بن زياد : والده زياد بن أبيه، كان من رجال بني أمية المعدودين، ولي البصرة لمعاوية والعراق لابنه يزيد، قتل في العراق على يد المختار الثقفي سنة ٦٧ هـ. (الطبري: ١٩٧٢ : ٥ : ص ٢٩٩ - ٣٠٠، ٣٤٨ : ٦ : ٨٦ - ٩٢؛ نبيه عاقل : ١٩٧٥ : ١٤٢ - ١٤٣).

(٧) مؤتمر الجابية : مؤتمر عقده بنو أمية وأنصارهم سنة ٦٤ هـ، بايعوا فيه بالخلافة لمروان بن الحكم وخالد بن يزيد بن =

= معاوية ولعمرو بن سعيد وليا لعهد، على أن تكون ولاية دمشق لعمرو وإمارة حمص لخالد. (الطبري، ١٩٧٢، ج ٥، ٥٣٠ - ٥٣٨)، والجابية : قرية من أعمال في منطقة الجولان، زارها عمر بن الخطاب أثناء الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام وألقى فيها خطبة مشهورة. (ياقوت : ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م : ٢ : ٩١ - ٩٢).

(٨) حسان بن مالك بن بحدل : من رجال بني كلب في فلسطين والأردن، من أحوال معاوية وخالد ابني يزيد بن معاوية، ولي فلسطين ليزيد بن معاوية وكان له دور بارز في الأحداث التي أعقبت وفاة يزيد بن معاوية، حتى وصول مروان بن الحكم للخلافة والبيعة لعبد الملك وعبد العزيز ابني مروان بولاية العهد. (الطبري : ١٩٧٢ : ٥ : ٥٣١ - ٥٤٤، ٦١٠).

يذكر أن مروان قد توفي بالطاعون (الذهبي : ١٤١٧ هـ-١٩٩٦ م : ٣ : ٤٧٩).

وأما عمر بن عبد العزيز، فتؤكد الروايات أنه استمر يشكو من المرض لمدة عشرين يوماً قبل وفاته، وهو ما يرجح استبعاد قتله بالسسم (الطبري : ١٩٧٢ : ٦ : ٥٦٥)، ويذكر اليعقوبي نفسه أن يزيد بن الوليد قد بايع بعد توليه الخلافة بثلاثة أيام لأخيه إبراهيم بن الوليد بولاية العهد، وهو ما يضعف رواية اليعقوبي التي ذكر فيها أن إبراهيم قد سقى الوليد سمًا (اليعقوبي: ٢٠١٠ : ٢ : ٢٦٦).

### الثورات المسلحة

كان عمرو بن سعيد الأشدق من رجال بني أمية البارزين، ولي الحجاز ليزيد بن معاوية الحجاز ولكنه سرعان ما عزل عنها عندما اتهمه بعض الأمويين عند يزيد بالتهاون والتخاذل أمام عبد الله بن الزبير (البلاذري : ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م : ٥ : ٣٣٤؛ الطبري : ١٩٧٢ : ٤ : ٤٧٧؛ ابن الجوزي : ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م : ٥ : ٣٤٧ - ٣٤٨؛ ابن الأثير : ١٤١٧ هـ-١٩٩٦ م : ٣ : ٤٤٦ - ٤٤٧)، وفي مؤتمر الجابية ببيع لمروان بن الحكم ومن بعده لخالد بن يزيد بن معاوية، واختير عمرو كولي عهد ثان بعد خالد بن

والبيعة بها لابنيه عبد الملك وعبد العزيز، إذ إن وفاة مروان سوف تعني انتقال الخلافة إلى عمرو لصغر سن خالد وابن بحدل وإن كان معني بوصول ابن أخته خالد إلى الخلافة، ولكنه في ذات الوقت غير معني بوصول عمرو بن سعيد إليها، وقد سبق له أن وضح موقفه هذا لخالد بن يزيد عندما بويع لمروان بن الحكم بالخلافة ولخالد من بعده، ولعمرو من بعد خالد في مؤتمر الجابية فقال له: "ابني أختي، إن الناس قد أبوك لحدائثة سنك، وإني والله ما أريد هذا الأمر إلا لك ولأهل بيتك، وما أبايع مروان إلا نظرا لكم؛ فقال له خالد بن يزيد : بل عجزت عنا، قال: لا والله ما عجزت عنك، ولكن الرأي لك ما رأيت ". (الطبري : ١٩٧٢ : ٥ : ٥٣٧) وهذا يفسر تأييد ابن بحدل القوي لمروان، عندما أخبره الأخير بما بلغه من قول عمرو، وتدخله المباشر بقوة لخلع عمرو، بل إنه وعد مروان بأن يقوم بنفسه بذلك، إذ إنه قال لمروان: أنا أكفيك عمرا، فلما اجتمع الناس عند مروان عشيا قام ابن بحدل فقال: "إنه بلغنا أن رجلاً يتمنون أماني، قوموا فبايعوا لعبد الملك ولعبد العزيز من بعده؛ فقام الناس فبايعوا من عند آخرهم ". (الطبري : ١٩٧٢ : ٥ : ٦١٠؛ اليعقوبي : ٢٠١٠ : ٢ : ١٧٣؛ المسعودي : ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م : ٣ : ٧٨). وأخيراً فإن الذهبي

بالأموال؛ فانشغلوا بها عن القتال، وقال عبد الملك: وأبيك لئن كانوا قتلوا الوليد لقد أصابوا بئارهم، وقد كان الوليد فقد حين ضرب، وذلك أن إبراهيم بن عدي احتمله فأدخله بيت القراطيس في المعمة، وأتى عبد الملك بيحيى بن سعيد؛ واجتمعت الكلمة على عبد الملك؛ وانقاد الناس إليه! ". (المسعودي: ١٤٢: ١٤٢ هـ - ٢٠٠٥ م: ٣: ٩٠) ثم قبض عبد الملك على أخوي عمرو بن سعيد، يحيى وعنبسة ابني سعيد، فأراد قتلها، ثم سجنهما، وبعد مدة نفاهما إلى العراق فلحقا بمصعب بن الزبير<sup>(٩)</sup> (الطبري: ١٩٧٢: ٦: ١٤٥ - ١٤٧؛ اليعقوبي: ٢٠١٠: ٢: ١٩٠).

يبدو أن عبد الملك كان يدرك تمامًا مدى الدور الذي يلعبه تماسك الأسرة الأموية واتحاد كلمتها في استقرار الخلافة، وأنَّ ضعفها وتفككها سوف تكون له نتائج خطيرة على الدولة، ولا سيما في ظل وجود منافسين أقوياء طامحين للوصول إلى السلطة وبخاصة

(٩) مصعب بن الزبير: والده الزبير بن العوام، ولي العراق لأخيه عبد الله بن الزبير، قتل سنة ٧٢ هـ على يد عبد الملك بن مروان. (ابن سعد: ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م: ٣: ٣٩٦ - ٣٩٧؛ ابن عبد ربه: ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٦ م: ٥: ١٥٨ - ١٦٢؛ الدينوري: ب، ت: ٢: ٢٣؛ خليفة: ١٩٩٣ م - ١٤١٤ هـ: ٢٠٥ - ٢٠٦).

يزيد (البلاذري: ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م: ٦: ٢٦٦ - ٢٦٨؛ اليعقوبي: ٢٠١٠: ٢: ص ١٧١؛ صالح حمارنة: ١٩٨١: ٤٥ - ٤٩؛ غيداء خزنة كاتبي: ١٩٩٣: ١٦).

خرج عمرو بن سعيد الأشدق على عبد الملك بن مروان (حكم: ٦٥ - ٨٦ هـ) الذي كان خارج دمشق واستولى عمرو عليها وبيع لنفسه بالخلافة (الطبري: ١٩٧٢: ٦: ١٤٠ - ١٤١؛ المسعودي، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م: ٢: ١٨٩) فاضطر عبد الملك إلى مصالحته على أن يكون ولياً لعهد. وبعد دخوله دمشق دبر عبد الملك أمر اغتيال عمرو في القصر (اليعقوبي: ٢٠١٠: ٢: ١٨٨ - ١٩٠؛ الطبري: ١٩٧٢: ٦: ١٤٣ - ١٤٦؛ المسعودي: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م: ٣: ٨٩ - ٩٠)، واشتبك أخو عمرو يحيى بن سعيد مع الوليد بن عبد الملك وحرس القصر وموالي بني أمية، ففُجِّرِح الوليد ثم قام عبد الملك برمي رأس عمرو ومعه بعض الدنانير إلى أصحابه المحيطين بالقصر، فأخذوا الدنانير وتفرقوا، يقول الطبري عن ذلك: " ووافى أخو عمرو يحيى بن سعيد إلى الباب بمن معه من رجاله ليكسروه؛ فخرج إليه الوليد وموالي عبد الملك؛ فضربه يحيى بالسيف على إتيته فانصرع، وألقى رأس عمرو إلى الناس؛ فلما رأوه تفرقوا من بعد أن ألقى عليهم

أما الثورة المسلحة الثانية التي شارك أو قام بها أفراد من البيت الأموي على الخليفة، فهي الثورة التي قادها يزيد بن الوليد (حكم : ١٢٦ هـ) على الوليد بن يزيد (حكم : ١٢٥ - ١٢٦ هـ) وانتهت بمقتل الوليد بن يزيد ( نبيه عاقل، ١٩٧٥، ص ٣٤٣ - ٣٤٠ )، وهي الثورة التي يتضح فيها مدى الانقسام الكبير الذي وصلت إليه الأسرة الأموية، إذ انقسم كبار الأسرة بين مؤيد ومعارض، فلم يشترك العباس بن الوليد مع أخيه يزيد بن الوليد في الثورة، بل إنّه وقف موقف المعارض لها، فعندما استشاره يزيد في ذلك كان رده بأنّ في الخروج على الوليد نقض لعهد الله وأنّ هذا النقض فيه فساد الدين والدنيا، وعندما كرر يزيد عليه القول مرة أخرى اعترض، وتوعد الوليد وقال له: " إن عدت لمثل هذا لأشدنك وثاقاً، ولأحملنك إلى أمير المؤمنين ! فخرج يزيد وقطن، فأرسل العباس إلى قطن، فقال: ويحك يا قطن ! أترى يزيد جادا ! قال : جعلت فداك ! ما أظن ذلك؛ ولكنه قد دخله مما صنع الوليد ببني هشام وبني الوليد وما يسمع مع الناس من الاستخفاف بالدين وتهاونه ما قد ضاق به ذرعا. قال : " أما والله لأظنه أشأم سخلة في بني مروان؛ ولولا ما أخاف من عجلة الوليد مع تحامله علينا لشدت يزيد وثاقاً، وحملته إليه؛ فازجره عن أمره؛ فإنّه يسمع إليك.

عبد الله بن الزبير، وهو ما دفعه إلى أن يعرض على عمرو أن يجعله ولياً لعهد حفاظاً على تماسك الأسرة، وقد عبّر المسعودي عن هذا الوضع فقال: " وكان عبد الملك قد سافر إلى زفر بن الحارث الكلابي<sup>(١٠)</sup> وهو بقرقيسيا<sup>(١١)</sup>، وخلف عمرو بن سعيد بدمشق فبلغه أنّ عمراً قد دعا (الناس) إلى بيعته بدمشق، فكر راجعاً إليها، فامتنع عمرو فيها، فناشده عبد الملك الرحم وقال له: لا تفسد (أمر) أهل بيتك وما هم عليه من اجتماع الكلمة، وفيما صنعت قوة (لابن الزبير)؛ ارجع إلى بيتك فإني سأجعل لك العهد، فرضي وصالح، ودخل عبد الملك وعمرو متحيز منه في نحو خمسمائة (فارس) يزولون معه حيث زال ". ( المسعودي : ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م : ٣ : ٨٨ - ٨٩).

(١٠) زفر بن الحارث الكلابي : زفر بن الحارث الكلابي : من رجال قيس في الجزيرة، خرج على بني أمية بعد وفاة يزيد بن معاوية في قنسرين وقرقيسيا وحران وبايع لعبد الله بن الزبير. (نبيه عاقل : ١٩٧٥ : ١٢١ - ١٢٢).

(١١) قرقيسيا : بلد على نهر الخابور مصب الفرات، سميت بقرقيسيا ابن طهمورث الملك. فتحها المسلمون سنة ١٩ هـ. ( ياقوت : ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م : ٤ : ٣٢٨ - ٣٢٩).

وتهدده، فحدّره يزيد، وقال: يا أخي، أخاف أن يكون بعض من حسدنا هذه النعمة من عدونا أراد أن يغري بيننا؛ وحلف له أنه لم يفعل. فصدّقه ". (الطبري : ١٩٧٢ : ٧ : ٢٣٧؛ البلاذري : ١٩٩٦ : ٩ : ١٦٩ - ١٧٠).  
كما نهى العباس بشر بن مروان حين كلمه في خلع الوليد عن القيام بذلك، وخاطب بني مروان قائلاً :  
يا بني مروان؛ إن أظن أن الله قد أذن في هلاككم؛ وأنشده قائلاً:

إني أعيدكم ————— بالله من فتن

مثل الجبال تسامى ثم تندفع

إن البرية قد ملت سياساتكم

فاستمسكوا بعمود الدين وارتمعوا

لا تلحمن ذناب الناس أنفسكم

إنّ الذناب إذا ما ألحمت رتعوا

لا تبقرن بأيديكم بطونكم

فتم لا حسرة تغنى ولا جزع

(الطبري : ١٩٧٢ : ٧ : ٢٣٩).

أمّا مروان بن محمد فإنّه وقف بداية إلى جانب الوليد بن يزيد وأدرك أن هناك تصدعاً كبيراً قد حصل في البيت الأموي، فبعث برسالة إلى سعيد بن عبد الملك بوصفه ركن من أركان البيت الأموي بإمكانه التدخل لمنع ما ينوي أن يقوم به أفراد من الأسرة، وصفهم بالسفهاء من محاولة الثورة على الوليد بن يزيد، مبيّناً أن ما يقومون به سوف يؤدّي إلى سفك دماء كثيرة (الطبري : ١٩٧٢ : ٧ : ٢٣٨)، فكتب إليه يقول :

" إن الله جعل لكل أهل بيت أركاناً يعتمدون عليها، ويتقون بها المخاوف، وأنت بحمد ربك ركنٌ من أركان أهل بيتك؛ وقد بلغني أن قوماً من سفهاء أهل بيتك قد استنوا أمراً إن تمت لهم رويتهم فيه على ما أجمعوا عليه من نقض بيعتهم - استفتحوا باباً لن يغلقه الله عنهم حتى تسفك دماء كثيرة منهم؛ وأنا مشتغل بأعظم ثغور المسلمين فرجاً، ولو جمعتني وإياهم لرممت فساد أمرهم بيدي ولساني، ولخفت الله في ترك

وحاول العباس بن الوليد منع أخيه يزيد بن الوليد مرة أخرى من الخروج على الوليد بن يزيد، فقد ذكر الطبري أن سعيد بن عبد الملك عندما وصله كتاب مروان بن محمد (حكم : ١٢٧ - ١٣٢ هـ) يطالبه فيه بالتدخل لمنع من يريد من بني أمية الخروج على الوليد بعث بالكتاب إلى العباس: " فدعا العباس يزيد فعذله

أما بعد مقتل الوليد بن يزيد فقد تصاعد الانقسام بصورة أكبر، فقد أطلق عليه مروان بن محمد الخليفة المظلوم ( البلاذري : ١٩٣٦ : ٩ : ١٩٩ )، وكتب إلى أخيه الغمر بن يزيد يحثه على الطلب بدم أخيه، فقال: "أما بعد فإن هذه الخلافة من الله على مناهج نبوة رسله وإقامة شرائع دينه أكرمهم الله بما قلدهم، يعزهم ويعزُّ من يعزهم والحين على من ناوهم فابتغى غير سبيلهم، فلم يزالوا أهل رعاية لما استودعهم الله منها يقوم بحقها ناهض بأنصار لها من المسلمين، وكان أهل الشام أحسن خلقه في طاعة وأذبه عن حرمه وأوفاه بعهده وأشدّه نكايه في مارق مخالف ناكث ناكب عن الحق فاستدرت نعمة الله عليهم، قد عمر بهم الإسلام وكبت بهم الشرك وأهله وقد نكثوا أمر الله وحاولوا نكث اليهود، وقام بذلك من أشعل ضرامها وإن كانت القلوب عنه نافرة والمطلوبون بدم الخليفة ولاية من بني أمية فإنّ دمه غير ضائع وإن سكنت بهم الفتنة والتأمت الأمور فأمر أراده الله لا مرد له، فاكتب بحالك فيما أبرموا وما ترى فإنني مطرق إلى أن أرى غيراً فأسطو بانتقام وأنتقم لدين الله المنبوذة فرائضه المتروكة مجانة ومعني قوم أسكن الله طاعتي قلوبهم أهل إقدام إلى ما قدمت بهم عليه، ولهم نظراء صدورهم مترعة ممتلئة لو يجدون منزعاً والنقمة دولة تأتي من الله

ذلك؛ لعلمي ما في عواقب الفرقة من فساد الدين والدنيا؛ وأنه لن ينتقل سلطان قوم قط إلا بتشتيت كلمتهم؛ وإنّ كلمتهم إذا تشتت طمع فيهم عدوهم. وأنت أقرب إليهم مني، فاحتل لعلم ذلك وإظهار المتابعة لهم؛ فإذا صرت إلى علم ذلك فتهددهم بإظهار أسرارهم، وخذهم بلسانك، وخوفهم العواقب؛ لعلّ الله أن يرد إليهم ما قد عزب عنهم من دينهم وعقولهم؛ فإنّ فيما سعوا فيه تغير النعم وذهاب الدولة، فعاجل الأمر وحبل الألفة مشدود، والناس سكون، والثغور محفوظة؛ فإنّ للجماعة دولة من الفرقة وللسعة دافعاً من الفقر، وللعدد منتقصاً، ودول الليالي مختلفة على أهل الدنيا، والتقلّب مع الزيادة والنقصان؛ وقد امتدّت بنا - أهل البيت - متتابعات من النعم، قد يعيها جميع الأمم وأعداء النعم وأهل الحسد لأهلها؛ وبحسد إبليس خرج آدم من الجنة. وقد أمّل القوم في الفتنة أملاً؛ لعلّ أنفسهم تهلك دون ما أملاوا، ولكلّ أهل بيت مشائيم يغير الله النعمة بهم - فأعاذك الله من ذلك - فاجعلني من أمرهم على علم. حفظ الله لك دينك، وأخرجك مما أدخلك فيه، وغلب لك نفسك على رشك". (الطبري : ١٩٧٢ : ٧ : ٢٣٨ - ٢٣٩).

والدبلوماسية الهادئة حتى يحين الوقت الملائم لإقضاء يزيد بن الوليد والانتقام منه ومن مؤيديه والثأر للوليد وإرجاع الأمور إلى نصابها، أي أن بيعته ليزيد بن الوليد لم تكن إلا إجراءً أنياً أراد به تحقيق أهدافه الخاصة ولا تمثل موقفه الحقيقي". ( عبد الأمير دكسن، ١٩٩٤م، ص ١٧٣ ).

كما لم تستقم الأمور ليزيد بن الوليد، فقد ساندته بعض بني أمية فيما أقدم عليه من الثورة على الوليد بن يزيد ومنهم العباس بن محمد بن يزيد بن معاوية وسليمان بن هشام، وعارضه آخرون وخرجوا عليه، ومنهم العباس بن الوليد في حمص، وبشر بن الوليد في قنسرين<sup>(١٣)</sup>، وعمر بن الوليد ويزيد بن سليمان في الأردن (اليعقوبي : ٢٠١٠ : ٢ : ٢٦٦)، فقد فرَّ سليمان بن هشام بن عبد الملك من منفاه في عمان وتوجه إلى دمشق وجعل يلعن الوليد ويعيبه بالكفر (الطبري : ١٩٧٢ : ٧ : ٢٦٢)، كما ثار أهل حمص

ووقت مؤجل ولم أشبه محمداً ولا مروان غير أن رأيت غيرا إن لم أشمر للقدرية إزاري وأضرهم بسيفي جارحاً وطاعنا يرمي قضاء الله بي في ذلك، حيث أخذ أو يرمي بهم في عقوبة الله حيث بلغ منهم فيها رضاه وما إطراقي إلا لما أنتظر مما يأتيني عنك فلا تهن عن ثأرك بأخيك فإن الله جارك وكافيك وكفى بالله طالباً ونصيراً". (الطبري : ١٩٧٢ : ٧ : ٢٨١ - ٢٨٢).

هذا ولم يبايع مروان بن محمد ليزيد بن الوليد إلا بعد أن توجه إلى حران<sup>(١٢)</sup>، وبعد أن كاتبه يزيد ووعدته أن يوليه جميع البلاد التي يتولاها والده محمد بن مروان أيام عبد الملك من الجزيرة والموصل وأذربيجان (الطبري، ١٩٧٢، ج ٧، ص ٢٩٨؛ فلهاوزن، ١٩٦٨، ص ١٤٩). ويرى عبد الأمير دكسن أن موقف مروان هذا قد أملت الظروف لإدراكه بصعوبة التحرك ضد يزيد عسكرياً، لذا: "تطلب الأمر مزيداً من الصبر

(١٢) حران : مدينة مهمة من مدن الجزيرة، بينها وبين الرقة يومان، تقع على طريق الموصل والشام، قيل: إنها سميت بهاران أخي إبراهيم عليه السلام؛ لأنه أول من بناها، فعربت فقيل حران، وذكر البعض أنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان. فتحها المسلمون في خلافة عمر ابن الخطاب. (ياقوت : ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م : ٢ : ٢٣٥ - ٢٣٦).

(١٣) قنسرين : منطقة قرب حمص، أما سبب تسميتها بهذا الاسم فيقال أن ميسرة بن مسودة العبسي مرَّ عليها فلما نظر إليها قال ما هذه؟ فسميت له بالرومية، فقال: لكأنها قن نسر فسميت قنسرين، وهناك روايات أخرى مشابهة حول سبب التسمية. فتحها المسلمون سنة ١٧ هـ. (ياقوت : ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م : ٤ : ٣٢٨ - ٣٢٩).

وهدموا دار العباس بن يزيد مما دعاه للهرب إلى يزيد، كما طالبوا بدم الوليد بن يزيد ورفضوا الدخول في طاعة يزيد بن الوليد (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢٦٢ - ٢٦٣)، كما قتلوا بعد ذلك مروان بن عبد الله بن عبد الملك الذي كان عاملاً عليها للوليد وابنه؛ لأنه طلب منهم عدم التوجه إلى دمشق للطلب بدم الوليد (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢٦٣ - ٢٦٤)، ولم تبدأ الأمور فيها إلا على يد عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وسليمان بن هشام (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢٦٢ - ٢٦٦). أمّا أهل فلسطين فبعد مقتل الوليد طردوا عاملهم سعيد بن عبد الملك وبايعوا ليزيد بن سليمان، حيث كان أهل يحنون أبناء سليمان لجوارهم لهم (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢٦٦)، وفي الأردن سيطر عليها عمر بن الوليد، ولما بلغ أهلها ما حدث في فلسطين أخرجوه منها وولوا عليهم محمد بن عبد الملك، فوجه يزيد بن الوليد إليها وإلى فلسطين سليمان بن هشام فتمكن من أخذ بيعة أهلها دون قتال (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢٧٦ - ٢٦٨).

وبعد وفاة يزيد بن الوليد، لم تستقم الأمور لأخيه إبراهيم بن الوليد الذي كان يزيد قد بايعه بولاية العهد (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢٩٥؛ اليعقوبي: ٢٠١٠: ٢: ٢٦٦)، لعدم إجماع بني أمية عليه، فلم يبايع له مروان

بن محمد، الذي سار إلى الشام وقام بخلعه، وهزم الجيش الذي أرسله لقتاله بقيادة سليمان بن هشام (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢٩٩ - ٣٠٢؛ اليعقوبي: ٢٠١٠: ٢: ٢٦٦ - ٢٦٧)، وبايع للحكم وعثمان ابني الوليد بن يزيد (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٣٠١) اللذين كانا لا يزالان محبوسين في دمشق منذ مقتل والدهم الوليد. إنَّ هذه التطورات دفعت بإبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام وعبد العزيز بن الحجاج إلى الإقدام على تدبير قتل ابني الوليد الحكم وعثمان خشية وصول مروان بن محمد إلى دمشق وتنصيب أحدهما خليفة وهو ما يعني قيامها بالانتقام منهم انتقاماً لوالدهما (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٣٠١ - ٣٠٢)، وعندما دخل مروان دمشق فرَّ إبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام منها، بينما قام موالي الوليد بن يزيد بقتل عبد العزيز بن الحجاج، ونبشوا قبر يزيد بن الوليد (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٣١١)، وهو ما مهد الأمر لمروان بن محمد للوصول إلى الخلافة بعد أن وجد الحكم وعثمان قد قتلا (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٣١١ - ٣١٢).

يلاحظ من هذه الثورة أنَّ أفراد البيت الأموي قد وقفوا لأول مرة بالسلاح في وجه بعضهم البعض، ونتج عن ذلك تصاعد حدة الانقسام داخل أفراد الأسرة

وبعد وفاة يزيد بن الوليد، لم تستقم الأمور لأخيه إبراهيم بن الوليد الذي كان يزيد قد بايعه بولاية العهد (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢٩٥؛ اليعقوبي: ٢٠١٠: ٢: ٢٦٦)، لعدم إجماع بني أمية عليه، فلم يبايع له مروان

"إنكم أهل بيت لا تزالون ترون لكم على جميع قومكم فضلاً لم يجعله الله لكم، وأن الذي كان بيني وبين أبيكم لم يكن حديثاً، بل كان قديماً في أنفس أوليكم على أولينا في الجاهلية". (الطبري: ١٩٧٢: ٦: ١٤٧ - ١٤٨؛ ابن الأثير، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ج ٤، ص ٨٩) ويرجع البعض أسباب نزاع عبد الملك وعمرو إلى قصة قديمة طريفة ينقلها الطبري عن عوانة بن الحكم يقول فيها: "أن الذي كان بين عبد الملك وعمرو كان شراً قديماً، وكان ابناً سعيد أمهها أم البنين، وكان عبد الملك ومعاوية ابني مروان، فكانوا وهم غلمان لا يزالون يأتون أم مروان بن الحكم الكنانية يتحدثون عندها، فكان ينطلق مع عبد الملك ومعاوية غلام لهم أسود، وكانت أم مروان إذا أتوها هيأت لهم طعاماً ثم تأتيهم به فتضع بين يدي كل رجل صحيفة على حدة، وكانت لا تزال تورش بين معاوية بن مروان ومحمد بن سعيد، وبين عبد الملك وعمرو بن سعيد فيقتتلون ويتصارمون الحبل لا يكلم بعضهم بعضاً، وكانت تقول: "إن لم يكن عند هذين عقل فعند هذين، فكان ذلك دأبها كلما أتوها حتى أثبتت الشحنة في صدورهم". (الطبري: ١٩٧٢: ٦: ١٤٧).

وعلى الرغم من ما يبدو في هذه الرواية من طرافة إلا أن الخلافات والتنافس داخل الأسرة الواحدة،

الأموية، ويظهر أن تأثير حركة عمرو بن سعيد الأشدق كان محدوداً بدليل أنه لا توجد أية إشارات إلى وجود تأثير بعيد المدى، ولعل هذا راجع بالأساس الأول إلى وجود شخصية قوية كعبد الملك على رأس الدولة، هذا في حين أن الثورة على الوليد بن يزيد كان تأثيرها أكبر بكثير، حيث أنها جاءت في وقت عانت فيه الدولة من مشاكل أخرى كثيرة، كما أنها حدثت في وقت لم تتواجد فيه شخصية قوية على رأس الدولة قادرة على وقف التدهور العام على الأصعدة السياسية والاقتصادية والقبلية وغيرها، وعليه، فقد كان من الطبيعي والحالة هذه ألا تتوقف هذه المشاكل عند حد معين، بل إن تتلاحق وتتصاعد لتشمل معظم رجالات البيت الأموي وأن تستمر حتى سقوط الدولة تقريباً.

هذا وتشير بعض الروايات إلى أن الخلاف بين عبد الملك وعمرو بن سعيد لم يكن مرده الصراع على السلطة، بل إلى وجود بعض الحساسيات القديمة بينهما بشكل شخصي، وبين أسرتهما بشكل عام، فقد أوضح عبد الملك لأبناء عمرو بن سعيد الأشدق أن ما حدث بينه وبين أبيهما من صراع، لم يكن وليد اللحظة، بل إن الخلاف بين أسرتهما له جذور قديمة تعود إلى الجاهلية، فقد ذكر الطبري أن أبناء عمرو بن سعيد الأشدق دخلوا على عبد الملك بعد الجماعة فقال لهم:

### جفينا ته ما إن تزال مقيمة

لمن خاف من غوري تهامة أو نجد

فقال معاوية: " لا أعيدها عليك أبداً". (الطبري:

١٩٧٢ : ٥ : ٣٣٣).

كما أظهر يزيد بن معاوية بعد توليه الخلافة استخفافاً أو لنقل نوعاً من الاستهزاء ببني عمومته الأمويين الذين كانوا في غالبهم من بن مروان المقيمين في المدينة المنورة عندما طلبوا مساعدته ضد أهل المدينة الذين اخرجوا عامل يزيد منها وحاصروا بني أمية ومواليهم فيها قبيل موقعة الحرة<sup>(١٥)</sup>، إذ كتبوا إليه مستغيثين: " بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد فإنه قد حصرنا في دار مروان بن الحكم ومنعنا العذب ورمينا بالحبوب فياغوثاه يا غوثاه! ". (الطبري : ١٩٧٢ : ٥ : ٤٢٨) فأظهر يزيد نوعاً من الاستخفاف بهم فقال: "... أمّا يكون بنو أمية ومواليهم ألف رجل بالمدينة قال: قلت بلى والله وأكثر، قال: فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من نهار قال: فقلت: يا أمير المؤمنين أجمع الناس كلهم عليهم فلم يكن لهم بجمع الناس طاقة... ". (الطبري : ١٩٧٢ : ٥ : ٤٣٨) وفي المقابل

(١٥) وقعة الحرة : موقعة حدثت سنة ٦٣ هـ بين أهل المدينة المنورة وجيش شامي بعثه إليهم يزيد بن معاوية. (طبري:

وبخاصة بين البطون المختلفة تعدُّ أمرًا عاديًا تحصل في جميع الأسر ولم تكن مقصورة على بني أمية فقط، وذلك كنتيجة طبيعية للتنافس على الزعامة والمكانة والوجاهة وغيرها، بل إنها تحصل بين الأخوة أحيانا فقد ورد أن نزاعاً قد حدث بين عتبة وعنيسة ابنا أبي سفيان، وكانت أم عتبة هند بنت عتبة<sup>(١٤)</sup> أم معاوية بينما أم عنيسة هي ابنة أبي أزيهر الدوسي، فمال معاوية إلى جانب عتبة، وأغلظ لعنيسة في القول، ورد على امتعاض عنيسة من ذلك بالقول: " يا عنيسة إنَّ عتبة ابن هند"، فردَّ عنيسة مفتخرًا بأمه، فقال :

كنا بخير صـالحاً ذات بيننا

قديماً فأمست فرقت بيننا هند

فإن تك هند لم تلـدني فإنني

ليضاء ينميها غطارفة نجد

أبوها أبو الأضياف في كل شتوة

ومأوى ضعاف لا تنوء من الجهد

(١٤) هند بنت عتبة: والدها عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وزوجة أبو سفيان بن حرب ووالدة كل من يزيد ومعاوية، أسلمت يوم فتح مكة وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم. ( ابن سعد : ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م : ٦ : ١٧٥ - ١٧٧).

عمل قام به من وجهة نظر الوليد، ويوضح عمرو بن شراحيل وهو من القدرية ذلك فقال: " سيرنا هشام بن عبد الملك إلى دهلك<sup>(١٨)</sup>، فلم نزل بها حتى مات هشام، واستخلف الوليد، فكلم فينا فأبى، وقال: والله ما عمل هشام عملاً أرجى له عندي أن تناله المغفرة به من قتله القدرية وتسييره إياهم". (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢٣٢).

أمّا من ناحية بني أمية، فقد ساهم بعض بني أمية في ترويح قسم كبير من الافتراءات على الوليد بن يزيد، وساهم يزيد بن الوليد فيها وهو يدعو الناس للخروج عليه، فيذكر كل من الطبري وابن عبد ربه وابن كثير وابن الأثير: " فرموه بالزندقة<sup>(١٩)</sup>؛ وكان أشدهم فيه قولاً يزيد بن الوليد بن عبد الملك، وكان الناس إلى قوله أميل؛ لأنه كان يظهر النسك

(١٨) دهلك: جزيرة في بحر اليمن، حارة جداً، كان بني أمية ينفون من يسخطون عليه إليها. (ياقوت: ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م: ٢: ٤٩٢ - ٤٩٣).

(١٩) الزندقة: كانت تعني بداية المانوية، ثم تطورت دلالتها وأصبحت تستغرق كل الديانات الفارسية كالديسانية والمرقونية، والمزدكية، ثم اتسعت دلالتها وصارت تشمل كل الملحدون والمتشككين في الدين، وهي المعاني التي كانت تقصد عند استعمال كلمة زنديق، حسين عطوان: ب، ت: ١٢ - ١٥).

فقد رفض عمرو بن سعيد الأشدق طلب يزيد بن معاوية أن يتوجه إلى الحجاز لقتال أهل المدينة، بحجة أنّه قرشي وأنّه لا يريد أن تراق دماء قريش على يديه، فوجه يزيد مسلم بن عقبة المري<sup>(١٦)</sup> (الطبري: ١٩٧٢: ٥: ٤٨٣). أمّا الوليد بن يزيد فيتضح أنّ صورته قد تم تشويهها بدرجة كبيرة جداً، ليس فقط من أفراد البيت الأموي فقط، بل تأمر عليه البيانية والقدرية<sup>(١٧)</sup>، وأبناء عمومته فقتلوه، وعملوا على تشويه سمعته. فمن ناحية القدرية فجميع الروايات التي وردت في الطبري عن سيرة الوليد يروها أحمد بن زهير القدري (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢٠٩ - ٢١١)، ومعروف أنّ الوليد قد تشدد في ملاحقة القدرية وسار في ذلك على نفس سياسة هشام، لا بل إنّه اعتبر أنّ ما قام به هشام من ملاحقته للقدرية ونفيه لهم هو أفضل

(١٦) مسلم بن عقبة المري: من أهل الشام، ولاء يزيد بن معاوية قتال أهل المدينة المنورة في موقعة الحرة سنة ٦٣ هـ، وتوفي بعدها وهو في الطريق إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير. (الطبري: ١٩٧٢: ٥: ٤٨٣ - ٤٨٥، ٤٩٦ - ٤٩٧).

(١٧) القدرية: فرقة دينية نشأت في القرن الأول الهجري، تقول: بنقي القدر عن الإنسان، وأنّ الإنسان مخير في كل ما يقوم به من أعمال. (عبد الله بن محمد القرني: ١٤٣٢هـ: ٣٨٣ - ٤٢٠).

الخلافة، وعصم الأمور. فالحمد لله الذي اختار أمير المؤمنين لخلافته، ووثائق عرى دينه، وذنب له عما كاده الظالمون. فرفعه ووضعهم، فمن أقام على تلك الخسيصة من الأمور أوبق نفسه، وأسخط ربه، ومن نزعت به التوبة نازعاً من الباطل إلى الحق، وجد الله تواباً رحيمًا.... (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢١٦-٢١٧).

إن هذا الكتاب يشير إلى أن ما اتهم به الوليد بن يزيد كان افتراء، وأنه دعاية كاذبة روجها هشام لعزله عن ولاية العهد، كما يفهم من الكتاب أيضًا أن بعض بني أمي قد استمروا في ترويح تلك الإشاعات عن الوليد بعد توليه الخلافة، وهو ما يعتبره مروان بن محمد خسيصة موبقة تسخط الله، وعلى من يقوم بها أن يسارع إلى التوبة.

أما المصادر الشيعية فيبدو أنها تحاملت على الوليد بن يزيد وذلك لتأثرها بمقتل يحيى بن زيد<sup>(٢٠)</sup> في خلافته (المسعودي: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م: ٣: ١٧٧)، فاتهمته بالاستخفاف بالدين وانتهاك محارم الله وشرب الخمر وغيرها (اليعقوبي: ٢٠١٠: ٢٦٤؛ المسعودي:

ويتواضع". (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢٣٢؛ ابن عبد ربه: ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٦ م: ٥: ٢٠٦؛ ابن الأثير: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م: ٤: ٤٩٥؛ ابن كثير: ٢٠١٠: ١٠: ٢٢٠). وهذه هي الأقاويل ذاتها التي برر بها خروجه عليه بعد قتله موضحًا للناس أنه لم يخرج طمعًا في الخلافة، وأن ذلك حدث لأن الوليد كافر لا يؤمن بكتاب الله، مرتكبًا للبدع ومستحلًا للحرمات وغير ذلك". (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢٦٨ - ٢٦٩؛ ابن عبد ربه: ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٦ م: ٥: ٢٠٧).

بن يزيد لم يكن إلا افتراءات ظالمة من قبل هشام بن عبد الملك وبعض بني أمية، فقد كتب مروان بن محمد إلى هشام قائلاً: "بارك الله لأمر المؤمنين فيما صار إليه من عبادته، ووراثته بلاده، وكان من تغشي غمرة سكرة الولاية ما حمل هشامًا على ما حاول من تصغير ما عظم الله من حق أمير المؤمنين، ورام من الأمر المستصعب عليه، الذي أجابه إليه المدخلون في آرائهم وأديانهم؛ فوجد ما طمع فيه مستصعبًا، وزاحمته الأقدار بأشد مناكبها. وكان أمير المؤمنين بمكان من الله حاطه فيه حتى أزره بأكرم مناطق الخلافة، فقام بما أراه الله له أهلاً، ونهض مستقلًا بما حمل منها، مثبتة ولايته في سابق الزبر بالأجل المسمى، وخصه الله بها على خلقه وهو يرى حالاتهم، فقلده طوقها، ورمى إليه بأزمة

(٢٠) يحيى بن زيد: خرج يحيى بن زيد في خراسان أواخر سنة ١٢٥ هـ، واستشهد في قرية يقال لها أرعونة على يد جيش أرسله إليه نصر بن سيار. (المسعودي: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م: ٣: ١٧٧).

(المسعودي، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م : ٣ : ١٧٧ - ١٨٠)، وبيالغ المسعودي في ذلك فيذكر أنه ورث المجون والخلاعة عن أبيه الوليد بن عبد الملك (المسعودي : ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، ج٣، ص ١٨٠. يقول : "وقرأ ذات يوم ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (سورة إبراهيم، آية ١٥) فدعا بالمصحف فنصبه غرضاً للنشاب، وأقبل يرميه وهو يقول :

أتوعد كل جبار عنيد      فها أنا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب خرقني الوليد)، وهي تهم نفاها الوليد ورد على القائلين بها عندما حصر، وقتل وهو يقرأ في القرآن الكريم، فقد جاء في الطبري : " لما حصر الوليد نادى محاصريه فقال: " أما فيكم رجل شريف له حسب وحياء أكلمه! فقال له يزيد بن عنبسة السكسكي : كلمني، قال له : من أنت؟ قال: أنا يزيد بن عنبسة، قال: يا أبا السكاسك؛ ألم أزد في أعطياتكم! ألم أرفع المؤن عنكم! ألم أعط فقراءكم! ألم أخدم زمانكم! فقال: إنا ما ننقم عليك في أنفسنا، ولكن ننقم عليك في انتهاك ما حرم الله، وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك،

(٢٣) أورد المسعودي أن الوليد قال :

تلعب بالخلافة هاشمي      بلا وحي أتاه ولا كتاب  
فقل لله يمنعي طعامي،      وقل لله يمنعي شراب!  
(المسعودي : ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م : ٣ : ١٨٠).

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م : ٣ : ١٧٧ - ١٨٠)، وبيالغ المسعودي في ذلك فيذكر أنه ورث المجون والخلاعة عن أبيه الوليد بن عبد الملك (المسعودي : ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م : ٣ : ١٧٩ - ١٨٠)، وربما أيضًا أن أهل العراق قد نعموا عليه لأن الحجاج بن يوسف<sup>(٢١)</sup> خاله (المسعودي : ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م : ٣ : ١٨٠؛ ابن عبد ربه : ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٦ م : ٥ : ١٩٧).

أما اليمانية، فقد تأثروا بمقتل خالد القسري<sup>(٢٢)</sup> فألف بعض شعرائهم شعرًا على لسان الوليد بن يزيد يذم فيه اليمانية، (الطبري : ١٩٧٢ : ٧ : ٢٣٤ - ٢٣٦)، كما نسبوا إليه شعرًا في إنكار النبوة

(٢١) الحجاج بن يوسف : الحجاج بن يوسف : كان الحجاج بن يوسف من أسرة بسيطة من الطائف، وعمل معلمًا للصبيان في بداية أمره بثقيف، واشتهر بفصاحته وشدته، ولاءه عبد الملك بن مروان الحجاز واليمامة واليمن (٧٢ - ٧٥ هـ)، ثم العراق (٧٥ هـ)، وظل واليا عليها في خلافة الوليد بن عبد الملك، وقد قام بجهود ضخمة في تثبيت الحكم الأموي في العراق. (محمود زيادة : ١٩٩٥ : ٩ - ٣٧ : ٦٧ - ١٢٦ : ٣٦٣ - ٤٠٠).

(٢٢) خالد القسري : من رجالات اليمن، ولي مكة وعزله عنها سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ، ثم ولي العراق لهشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ، وقتل سنة ١٢٦ هـ، على الوليد بن يزيد. (الطبري، ١٩٧٢، ج٦، ص ٢٢١، ج ٧، ص ٢٦ - ٢٧، ٢٣٢ - ٢٣٤).

ولم يتعرض في خلافته لمن لم يشارك في تشويه سمعته، لم يتعرض لفتية المدينة أبي الزناد لأنه لم يشارك محمد بن شهاب الزهري<sup>(٢٥)</sup> وهشامًا في الحملة الظالمة التي شنوها ضده (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢٥٣؛ ابن عبد ربه: ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٦ م: ٥: ٢٠١)، وفي المقابل فقد كان يتوعد الزهري كان يعيبه ويتنقصه عند هشام، فكان الوليد يقول: "وأيم الله لو بقي الفاسق، يعني: الزهري لقتلته" (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢٥٣؛ ابن عبد ربه: ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٦ م: ٥: ٢٠١).

وأخيرًا فقد نفى عنه الخليفة العباسي المهدي (حكم: ١٥٨ - ١٦٩ هـ) تهمة الاستهتار بالدين، عندما اتهم أحد جلسائه الوليد بأنه زنديق، فرد المهدي قائلاً: "خلافه الله أجل وأكرم عليه من أن يوليها زنديقاً". (البلاذري: ١٩٩٦: ٩: ١٣٨؛ السيوطي: ٢٠٠٣، ١٩٠)، كذلك نفى عنه تهمة الكفر والزندقة (السيوطي، ٢٠٠٣، ص ١٩٠).

وهكذا نلاحظ أن هناك عوامل متعددة تضافرت جميعاً على تشويه سمعة الوليد، ساهم فيها بني أمية، فضلاً عن القدرية والشيعة والبيانية وغيرهم.

(٢٥) محمد بن شهاب الزهري: من فقهاء المدينة المنورة، انتقل إلى الشام وكان مقرباً من خلفاء بني أمية، توفي سنة ١٢٤ هـ. (ابن سعد: ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م: ٤: ١٠٠ - ١٠٨).

واستخفافك بأمر الله؛ قال: حسبك يا أخوا السكاسك، فلعمري لقد أكثرت وأغرقت؛ وإن فيما أحل لي لسعة عما ذكرت. ورجع إلى الدار فجلس وأخذ مصحفاً، وقال: يوم كيوم عثمان، ونشر المصحف يقرأ، فعلوا الحائط،...". (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢٤٦؛ ابن عبد ربه: ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٦ م: ٥: ٢٠٦).

وكذب حسان بن جعدة الجعفري خلف بن خليفة الذي زعم أن البيانية هم من قتلوا الوليد بن يزيد<sup>(٢٤)</sup> (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢٦٠ - ٢٦١) انتقاماً لمقتل خالد القسري، وألقى باللوم في ذلك على بني أمية فقال: إن امرأ يدعي قتل الوليد سوى

أعمامه لميء النفس بالكذب

ما كان إلا أمراً حانت منيته

سارت إليه بنو مروان بالعرب

(الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢٦١).

(٢٤) قال خلف عن ذلك:

لقد سكنت كلب وأسباق مذحج صدى كان يزقو ليله غير راقد  
تركن أمير المؤمنين بخالد مكباً على خيشومه غير ساجد  
فإن تقطعوا ممًا مناط قلادة قطعنا به منكم مناط قلائد  
وإن تشغلونا عن ندانا فإننا شغلنا الوليد عن غناء الولائد  
وإن سافر القسريّ سفرة هالك فإن أبا العباس ليس بشاهد  
(الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢٦٠ - ٢٦١).

## عزل ومحاوله عزل ولاية العهد

قام غالبية خلفاء بني أمية بعزل أو محاولة عزل ولاية عهدهم وبخاصة إذا كانوا أخوة لهم والبيعة لأبنائهم بدلا منهم، فقد قام مروان بن الحكم قبيل وفاته بخلع ولي عهده خالد بن يزيد وعمرو بن سعيد الأشدق وبإيع لابنيه عبد الملك وعبد العزيز، فقد جاء عند الطبري عن عوانة بن الحكم قال: " لما هزم عمرو بن سعيد الأشدق مصعب بن الزبير حين وجهه أخوه عبد الله إلى فلسطين، وانصرف راجعًا إلى مروان، ومروان يومئذ بدمشق، قد غلب على الشام كلها ومصر، وبلغ مروان أن عمرا يقول: إن هذا الأمر لي من بعد مروان، ويدعي أنه قد كان وعده وعدًا، فدعا مروان حسان بن مالك بن بحدل فأخبره أنه يريد أن يبيع لعبد الملك وعبد العزيز ابنيه من بعده، وأخبره بما بلغه عن عمرو ابن سعيد، فقال: أنا أكفيك عمرًا، فلما اجتمع الناس عند مروان عشيا قام ابن بحدل فقال: إنه بلغنا أنّ رجالًا يتمنون أمانني، قوموا فبايعوا لعبد الملك ولعبد العزيز من بعده؛ فقام الناس فبايعوا من عند آخرهم." (الطبري: ١٩٧٢: ٥: ٦١٠؛ اليعقوبي، ٢٠١٠، ج ٢، ص ١٧٣؛ المسعودي، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، ج ٣، ص ٧٨).

أما عبد الملك بن مروان فقد حاول خلع أخيه عبد العزيز بن مروان والبيعة لابنه الوليد بن عبد الملك مكانه (الطبري: ١٩٧٢: ٦: ٤١٢)، وكذلك فعل الوليد بن عبد الملك، فقد حاول عزل أخيه سليمان بن عبد الملك (حكم: ٩٧ - ٩٩ هـ) والبيعة لأبنة عبد العزيز بن الوليد (الطبري: ١٩٧٢: ٦: ٤٩٨ - ٤٩٩). وحاول يزيد بن عبد الملك ولاية خلع أخيه هشام الذي كان قد بايع له بولاية العهد لأن ابنه الوليد كان صغيرا، ولكن عندما بلغ الوليد الحلم كان يزيد وكان يقول: " الله بيني وبين من جعل هشاما بيني وبينك! ". (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢٠٩؛ البلاذري: ١٩٩: ٩: ١٢٩).

أما هشام بن عبد الملك (حكم: ١٠٥ - ١٢٥ هـ) فقد حاول هو الآخر خلع الوليد بن يزيد والبيعة لأبنة مسلمة بن هشام، ولكن الوليد رفض ذلك، كما رفض طلب هشام بأن يجعل مسلمة بن هشام وليا لعهد، فعمل هشام سرا على أخذ البيعة لأبنة فأجابته البعض إلى ذلك (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢٠٩ - ٢١٠).

ويشار إلا أنّ بعض بني أمية قد استخدموا أساليب مختلفة في محاولة منهم لإقناع ولاية العهد بالتنازل عن ولايتهم، ومن ذلك الترغيب وتقديم

هذا وقد جاءت وفاة عبد العزيز حلاً لهذا الإشكال، إذ يظهر أن عبد الملك كان مصرًا على خلع عبد العزيز، حيث توفي عبد العزيز بينما كان عبد الملك يهيم بتنفيذ ما عزم عليه من خلعه ( ابن عبد الحكم : ١٩٢٠ م : ٢٠٠)، فأخذ البيعة لابنيه الوليد وسليمان من بعده، وكتب إلى عماله على الأمصار أن يأخذوا لها البيعة من الناس. فبايعها الناس إلا سعيد بن المسيب<sup>(٢٧)</sup>، الذي رفض أن يبايع وعبد الملك حي، فقام والي المدينة هشام بن إسماعيل المخزومي بضربه وحبسه، ولكن عبد الملك لأمه على ذلك (الطبري : ١٩٧٢ : ٦ : ٤١٥ - ٤١٧ ؛ اليعقوبي : ٢٠١٠ : ٢ : ٢٠٢).

أما الوليد بن عبد الملك (حكم : ٨٦ - ٩٦ هـ) فقد عرض على أخيه سليمان أن يجعله ولياً للعهد بعد ابنه عبد العزيز، كما عرض عليه أمولا كثيرة، ولكن سليمان رفض كل ذلك وتباطأ في الحضور إلى الوليد فكتب الوليد إلى عماله على الأمصار بخلعه فلم يجبه إلا الحجاج وقتيبة وخواص الناس، فأراد أن يسير إليه ليخلعه ولكنه توفي قبل أن ينفذ ذلك (الطبري :

الإغراءات أولاً، والمساومة على تعيين أبنائهم كأولياء للعهد من بعدهم، ثم الترهيب والتهديد والضغط المالي والعمل على تشويه صورة ولي العهد والاستخفاف به أمام الناس، والاستعانة بكبار الولاة والفقهاء لتأييدهم في ذلك، فبعد أن حسم عبد الملك أمره على خلع أخيه عبد العزيز مهد لذلك باستشارة كبار المقربين منه فأيده البعض، ونصحه آخرون أن يترث قبل أن يقدم على ذلك (الطبري : ١٩٧٢ : ٦ : ٤١٢)<sup>(٢٦)</sup>، كما حاول إقناعه بالتنازل، على أن يجعل مصر له طعمة، ولكن طلبه هذا قوبل بالرفض القاطع ( اليعقوبي : ٢٠١٠ : ٢ : ٢٠١)، فكتب إليه قائلاً: " إن رأيت أن تصير هذا الأمر لابن أخيك! فأبى، فكتب إليه: فاجعلها له من بعدك، فإنه أعز الخلق على أمير المؤمنين. فكتب إليه عبد العزيز: إني أرى في أبي بكر بن عبد العزيز ما ترى في الوليد، فقال عبد الملك: اللهم إن عبد العزيز قطعني فاقطعه ". (الطبري : ١٩٧٢ : ٦ : ٤١٤).

(٢٦) أشار عليه روح بن زنباع الجذامي أن يخلعه، وقال له : " لو خلعت ما انتطح فيه عنزان، وأنا أول من يجيبك إلى ذلك "، وأشار عليه قبيصة بن ذؤيب أن لا يخلعه، وأن يترث لعل الموت يريجه منه. (الطبري : ١٩٧٢ : ٦ : ٤١٢).

(٢٧) سعيد بن المسيب : من فقهاء المدينة المنورة، ولد سنة ١٥ هـ وتوفي سنة ٩٩ هـ. (ابن سعد : ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م : ٢ : ٣٥ - ٣٩ : ٣ : ٣٤٩ - ٣٧٠).

والنزول في منطقة الأزرق<sup>(٢٨)</sup> شرقي الأردن، والبقاء مقيمًا فيها حتى وفاة هشام (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢١١-٢١٥؛ البلاذري: ١٩٩٦: ٩: ١٣٦، ١٤٢)، وهي التهم ذاتها التي اتهمه بها أبناء هشام وبنو الوليد بعد موت هشام، فاتهموه بالكفر وغشيان أمهات أبناء أبيه (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢٣٢؛ ابن كثير: ٢٠١٠: ١٠: ٢٢٠)، وبرر بها يزيد بن الوليد لأهل الشام قتل الوليد حيث اتهمه بالكفر والإلحاد وأنه كان مستحل لكل حرمة، وراكب لكل بدعة (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢٦٨-٢٦٩).

ويظهر أن أطرافًا مقربة من بعض الخلفاء الأمويين، وربما لا تكن الود لهم كانت تعمل على الإيقاع بين هؤلاء الخلفاء وولادة عهودهم، فقد بلغ يزيد بن عبد الملك أن أخاه هشامًا أن أخاه هشام بن عبد الملك ينتقصه، ويتمنى موته، ويعيب عليه لوه بالقيينات، فكتب إليه معاتبًا: "أما بعد فقد بلغني استثقالك حياتي، واستبطاؤك موتي، ولعمري إنك بعدي لواهي الجناح، أجذم الكف، وما استوجبت منك ما بلغني عنك". (المسعودي: ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٥م: ٣: ١٦٦؛ ابن كثير: ٢٠١٠: ١٠: ٦١)

(٢٨) منطقة الأزرق: منطقة في طريق حاج الشام دون تيماء. (ياقوت: ١٣٩٧ هـ-١٩٧٧م: ١: ١٦٨).

١٩٧٢: ٦: ٤٩٨ - ٤٩٩). هذا في حين إن سليمان بن عبد الملك قد بايع لعمر بن عبد العزيز نظرا لغياب كل من ابنه داود بن سليمان وأخيه يزيد بن عبد الملك، على الرغم من أنه كان متخوفًا من أن ذلك سوف يؤدي إلى عدم قبول كبار البيت الأموي بذلك حيث قال "والله لئن وليته ولم أول احدا سواه لتكونن فتنة، ولا يتركونه أبدا يلي عليهم إلا ان يجعل احدهم بعده، ويزيد بن عبد الملك غائب عن الموسم، قال: فيزيد بن عبد الملك أجعله بعده، فإن ذلك يسكنهم ويرضون به" (الطبري: ١٩٧٢: ٦: ٥٥٠).

كما ذكر اليعقوبي أن يزيد بن عبد الملك عرض على أخيه هشام أن يخلع نفسه على أن يجعل الجزيرة له طعمة، ولكن هشام رفض، فاكتفى يزيد بأن عين ابنه الوليد وليا لعهد هشام (اليعقوبي: ٢٠١٠: ٢: ٢٤١-٢٤٢). ورفض الوليد بن يزيد طلب هشام بأن يجعل مسلمة بن هشام وليًا لعهد، فعمل هشام سرًا على أخذ البيعة لأبنة فأجابه البعض إلى ذلك (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢٠٩ - ٢١٠)، فما كان من هشام إلا أن ضغط الملك اقتصاديًا على الوليد إذ قام بقطع ما كان مخصصًا له من مال، كما عمل على تشويه صورة الوليد إذ اتهمه بالمجون، والتهاون في الدين، وارتكاب الفواحش، وهو ما دفع الوليد للخروج بموليه

(٦٢-)<sup>(٢٩)</sup>. أما هشام فقد نفى اتهام يزيد له بذلك متهمًا أناسًا لم يسمهم بأنهم من يقفون وراء ذلك بهدف الإيقاع بينه وبين الخليفة ذلك فكتب إلى يزيد قائلاً: "أما بعد، فإن أمير المؤمنين متى فرغ سمعه لقول أهل الشنآن وأعداء النعم يوشك أن يقدح ذلك في فساد ذات البين، وتقطع الأرحام، وأمير المؤمنين بفضله وما جعله الله أهلاً له أولى أن يتغمد ذنوب أهل الذنوب، أمّا أنا فمعاذ الله أن استتقل حياتك أو أستبطئ موتك". فرد يزيد عليه بقوله "نحن مغتفرون ما كان منك، ومكذبون ما بلغنا عنك، فاحفظ وصية عبد الملك إيانا، وقله لنا في ترك التبأغي والتخاذل، وما أمر به وحض عليه من صلاح ذات البين واجتماع الأهواء؛ فهو خير لك وأملك بك، وإني لأكتب إليك و(أنا) أعلم أنك كما قال الأول: وإني على أشياء منك تربييني

قديماً لذو صفح على ذاك مجمل

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتني

يمينك، فانظر أي كف تبدل

(٢٩) يذكر أنه كتب له قائلاً: "أما بعد فإن أمير المؤمنين قد بلغه أنك استبطأت حياته، وتمنيت وفاته، ورممت الخلافة". فكتب إليه هشام: "جعل الله يومي قبل يومك، وولدي قبل ولدك، فلا خير في العيش بعدك". (ابن كثير: ٢٠١٠: ١٠: ٦١-٦٢).

وإن أنت لم تنصف أخاك وجدته

على طرف الهجران إن كان يعقل  
وعندما لم يقتنع يزيد بذلك، قرر هشام أن يبقى إلى جوار يزيد حتى لا يعطي مجالاً لهؤلاء للإيقاع بينهما (المسعودي: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م: ٣: ١٦٦ - ١٦٧).

نتائج الخلاف بين الخلفاء وولاية عهدهم

لا توجد إشارات عن قيام ولاية العهد الأموي بعد وصولهم إلى السلطة بالتعرض أو حتى التضييق على أسرة الخليفة المتوفى، وما كان يتم في هذا المجال هو أن يقوم البعض بعزل ولاية وعمال الخليفة السابق كما فعل كل من سليمان بن عبد الملك (اليعقوبي: ٢٠١٠: ٢: ٢١٨ - ٢٢٠) ويزيد بن عبد الملك (اليعقوبي: ٢٠١٠: ٢: ٢٣٧) والوليد بن يزيد (اليعقوبي: ٢٠١٠: ٢: ٢٦١)، وهو ما يشير إلى عدم رضى عن سياسته وعن سياسة عماله، كما أننا نلاحظ عدم اعتراض ذو مغزى على بيعة سليمان لعمر بن عبد العزيز وتخطي أخوته من أبناء عبد الملك بن مروان، وكل ما حدث لا يتخطى أكثر من اعتراض خفيف من هشام بن عبد الملك (الطبري: ١٩٧٢: ٦: ٥٥٢)، ودعوة يزيد بن عبد الملك إلى نفسه لعدم علمه ببيعة

لتغسيل هشام لتكفينه (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢١٥؛ ابن الأثير: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م: ٤: ٤٦٨ - ٤٦٩؛ اليعقوبي: ٢٠١٠: ٢: ٢٥٨)، وما أن تولى الوليد بن يزيد الخلافة حتى بدأ بالانتقام من أفراد البيت الأموي، وبخاصة الذين أيدوا هشامًا في محاولة خلعه من ولاية العهد فاستخدم الضرب والسجن والنفي، فأمر بداية بحجز أموال هشام وأولاده في الرصافة<sup>(٣٠)</sup> (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢١٥ - ٢١٦؛ ابن الأثير: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م: ٤: ٤٥٩؛ ابن عبد ربه: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٦م: ٥: ١٩٨)، وضرب سليمان بن هشام مائة سوط وحلق رأسه ولحيته ونفاه إلى عمان حيث بقي فيها حتى قتل الوليد (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢٣١ - ٢٣٢؛ ابن عبد ربه: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٦م: ٥: ٢٠٦)، وحبس الأفقم يزيد بن هشام (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢٣٢)، بينما لم يتعرض لمسلمة بن هشام؛ لأن مسلمة كان يترفق به عند أبيه (الطبري: ١٩٧٢: ٧: ٢١٥؛ اليعقوبي: ٢٠١٠: ٢: ٢٦١ - ٢٦٢؛ ابن الأثير: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م: ٤: ٤٦٩؛ ابن عبد ربه:

سليمان لعمر، ثم بيعته لعمر عندما علم بذلك (الطبري: ١٩٧٢: ٦: ٥٥٣؛ اليعقوبي: ٢٠١٠: ٢: ٢٢٦). ويختلف الأمر قليلاً في الثورات المسلحة، فعندما قتل عبد الملك لعمر بن سعيد قبض على أخوة عمرو بن سعيد، يحيى وعنبسة، فأراد قتلها، ثم سجنها، وبعد مدة نفاهما إلى العراق فلحقوا بمصعب ابن الزبير (الطبري: ١٩٧٢: ٦: ١٤٦ - ١٤٧؛ اليعقوبي: ٢٠١٠: ٢: ١٩٠).

وتتضح هذه الصورة بشكل أكبر في الفترة المتأخرة إذ كان موت هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥هـ إيذانًا بتفاقم انهيار البيت الأموي، وقد عبر ابن كثير عن ذلك في تعليقه على إثر وفاته على الدولة الأموية فقال: " لما مات هشام مات ملك بني أمية، وتولى وأدبر أمر الجهاد في سبيل الله، واضطرب أمرهم جدًا وإن كانت تأخرت أيامهم بعده نحوًا من سبع سنين، ولكن في اختلاف وهيج وما زالوا كذلك حتى خرجت عليهم بنو العباس فاستلبوهم نعمتهم وملكهم ". (ابن كثير: ٢٠١٠: ١٠: ٢١١).

لقد كانت العلاقة أصلاً متوترة بين هشام بن عبد الملك وبين ولي عهده الوليد بن يزيد، فما أن توفي هشام حتى سارع أنصار الوليد إلى حجز كل ما هو موجود في القصر لدرجة أنهم لم يجدوا قمقمًا يسخنوا به الماء

(٣٠) الرصافة: هناك أكثر من موضع يطلق عليه اسم الرصافة، والمقصود هنا رصافة الشام التي بناها أو جددها هشام بن عبد الملك وكان يسكنها في فصل الصيف. (ياقوت: ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧: ٣: ٤٦ - ٤٨).

الوليد يقول: "وايم الله لو بقي الفاسق، يعني: الزهري لقتلته (الطبري : ١٩٧٢ : ٧ : ٢٥٣؛ البلاذري : ١٩٩٦ : ٩ : ١٦١؛ ابن عبد ربه : ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٦ م : ٥ : ٢٠١). وفي المقابل لم يتعرض لفضيحه المدينة أبي الزناد؛ لأنه لم يشارك الزهري وهشامًا في الحملة الظالمة التي شنوها ضده (الطبري : ١٩٧٢ : ٧ : ٢٥٣؛ ابن عبد ربه : ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٦ م : ٥ : ٢٠١).

يتضح من خلال هذا العرض أنه قد تم تضخيم دور ولاية العهد في تفكك الأسرة الأموية وانقسامها، إذ أن جميع محاولات عزل ولاية العهد كانت نظرية لم يكتب لها النجاح، فباستثناء قيام مروان بن الحكم بخلع وليي عهده خالد بن يزيد بن معاوية وعمرو بن سعيد الأشدق لم يكتب النجاح لأيٍّ من هذه المحاولات، كما أن ردة فعل ولاية العهد عندما يصلون إلى السلطة كانت تتجه إذا حدثت باتجاه عمال وولاية الخليفة المتوفى وليس إلى أفراد أسرته، وهو ما يعبر ربما عن عدم رضا عن سياسة هؤلاء الخلفاء وليس أكثر، بينما لا توجد إشارات إلى تعرضهم لأفراد أسرهم أو أبنائهم باستثناء ما حدث في عهد الوليد بن يزيد الذي ضيق لأول مرة على أسرة هشام ومن أيده في محاولة خلعه، حيث جاء ذلك كنتيجة طبيعية على السياسة

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٦ م : ٥ : ١٩٨)، وقيل أنه : " اتخذ مائة جامعة؛ وكتب على كل جامعة اسم رجل من بني أمية ليقتله بها ". (الطبري : ١٩٧٢ : ٧ : ٢٣٢؛ ابن كثير : ٢٠١٠ : ١٠ : ٢٢٠). وقد أدت هذه الإجراءات إلى تفاقم انقسام البيت الأموي على نفسه، وهو الأمر الذي انعكس بطبيعة الحال على الشارع الإسلامي وبخاصة أن لكل من هؤلاء أنصاره ومؤيدوه.

لم تقتصر سياسة الوليد بن يزيد العنيفة على أفراد البيت الأموي، بل تعدت ذلك لتطال عمال وولاية هشام بن عبد الملك حيث قام بعزلهم وتعذيبهم (اليقوي : ٢٠١٠ : ٢ : ٢٦١؛ السعدي، أبو حبيب : ١٩٧٢ : ٢٣)، وانتقم من خالد القسري لرفضه البيعة لابني الوليد الحكم وعثمان بولاية العهد (الطبري، ١٩٧٢، ج ٧، ص ٢٣٢ - ٢٣٤؛ اليقوي : ٢٠١٠ : ٢ : ٢٦٤)، وهو ما أثار اليمانية عليه وجعلهم يتقمون عليه ويعرضون البيعة على يزيد بن الوليد وهو ما قبله يزيد وثار على الوليد (الطبري : ١٩٧٢ : ٧ : ٢٤٠ - ٢٤٢).

وكان الوليد يتوعد محمد بن شهاب الزهري؛ لأنَّ الزهري كان يتقرب إلى هشام بعيب الوليد وانتقاصه، وكان الزهري توفي قبل تولي الوليد الخلافة، فكان

وفيما يتعلق بالثورات المسلحة وبخاصة في الفترة الأولى، فقد ظهر أن تأثير ثورة عمرو بن سعيد الأشدق على عبد الملك ومقتله قد صدعت من تماسك الأسرة، ولكن لم يكن لها تأثير بعيد المدى بعد انتهائها، أما الثورة على الوليد بن يزيد فقد كان تأثيرها أكبر بكثير إذ أن الخلافات والانقسام داخل الأسرة الأموية لم يتوقف عندها بل تلاحق وتساعد حتى سقوط الدولة، كما أنه شمل هذه المرة معظم رجالات البيت الأموي.

كما تم تضخيم دور ولاية العهد في تفكك الأسرة الأموية وانقسامها، إذ أن معظم هذه المحاولات كانت نظرية لم يكتب لها النجاح، وأن ردة الفعل عليها كانت تتجه إذا حدث باتجاه عمال وولاية الخليفة المتوفى وليس إلى أفراد أسرته، باستثناء ما حدث في عهد الوليد بن يزيد الذي ضيق على أسرة هشام ومن أيد هشام من محاولة خلعه، حيث جاء ذلك كنتيجة طبيعية على السياسة القاسية التي اتبعتها معه هشام والمتمثلة في تشويه صورته من ناحية، والتضييق المالي والاقتصادي من ناحية أخرى.

كما اتضح أن تشويه صورة بعض الخلفاء أو ولاية العهد والحديث عن خلافات كبير بين الخلفاء وولاية عهدهم قد تم تضخيمه أيضاً بصورة كبيرة، ويظهر أن

القاسية التي اتبعتها معه هشام والمتمثلة في تشويه صورته من ناحية، والتضييق المالي والاقتصادي عليه من ناحية أخرى.

### الخاتمة

يتضح من خلال الدراسة أن دور الخلافات داخل الأسرة قد لعب دوراً عادياً في سقوط الدولة الأموية، وأن هذا الدور قد تم تضخيمه بشكل كبير، إذ أنه يظهر بشكل واضح أن الخلافات والتنافس داخل الأسرة قبل الإسلام ليست أكثر من مجرد خلافات عادية تحصل في غالب الأسر الكبيرة كنتيجة طبيعية على التنافس على الزعامة والمكانة وغيرها. أما بعد وصول بني أمية للسلطة فقد تم تضخيم هذه الخلافات بصورة مبالغ فيها وبخاصة قضية الاتهام بقتل بعض الخلفاء كمروان بن الحكم، ومعاوية الثاني بن يزيد، وعمر بن عبد العزيز وهي اتهامات لم تثبت بشكل قاطع فمروان كان كبيراً في السن عند توليه الخلافة، ومعاوية الثاني لم يكن خصماً لأحد من بني أمية أو غيرهم بعد تنازله عن الخلافة كما أنه كان أصلاً مريضاً، أما عمر بن عبد العزيز فيتضح أنه قد عانى من المرض لفترة زمنية ليست قصيرة قبل وفاته وهو ما يضعف إمكانية اغتياله بالسّم.

أطرافاً مقربة من بعض الخلفاء كانت تقف أحياناً وراء ذلك كما حدث بين يزيد بن عبد الملك وهشام، وهي خلافات لم ترتق لإقدام الخلفاء على عزل ولاة عهدهم. أمّا تشويه صورة بعض الخلفاء بعض الأمويين لبعضهم البعض فاتضح أنها محدودة ولا تظهر بوضوح إلا في حالة الوليد بن يزيد تقريباً، ولم تكن ناتجة عن قيام بني أمية بذلك فقط، بل شاركت فيها أطرافاً أخرى كالقدرية والشيعية والبيانية وغيرهم، وهي اتهامات تم تضخيمها بصورة مبالغ فيها بدرجة كبيرة.

البلاذري، أحمد بن يحيى. أنساب الأشراف (الأجزاء الخامس السادس والتاسع) تحقيق: سهيل زكار و رياض زركلي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.

الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت. معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م.

أخيراً، إنَّ الخلافات في الأسرة الأموية لم تكن سبباً رئيساً في سقوط الدولة، وأنَّ عملية السقوط جاءت نتيجة لعوامل كثيرة متداخلة، كان لهذا الانقسام دوره المحدود، إذ لا نراه بشكل واضح إلا في المراحل المتأخرة التي كانت الدولة تعاني فيها من مشاكل معقدة على كافة الأصعدة.

الدينوري، أبي محمد عبد الله بن مسلم. الإمامة والسياسة، تحقيق: طه الزيني، مؤسسة الحلبي، مصر، بدون تاريخ.

الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن عثمان. سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط، تحقيق: محمد نعيم العقروسي ومأمون صاعرجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الحادية عشرة، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م، الجزء الثالث.

#### المصادر والمراجع

ابن الأثير، أبو الحسن عي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني الجزري. الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م.

سعيد الصاغر جي، راجعة الشيخ عبد اللطيف الأرنؤوط و بشارعواد معروف، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. مروج الذهب ومعادن الجواهر، اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م.

اليقوي، أحمد بن يعقوب بن وهب بن واضح، تاريخ اليقوي، تحقيق: عبد الله مير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م.

زيادة، محمود. الحجاج بن يوسف الثقفي. دار السلام، مصر، ١٩٩٥م.

السعدي، أبو حبيب. مروان بن محمد، دار لسان العرب، بيروت، ١٩٧٢.

عاقل، نبيه، خلافة بني أمية، دار الفكر بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٥.

عطوان، حسين. الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت، ب، ت.

فلهاوزن، يوليوس. تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، ترجمة

ابن سعد، محمد. الطبقات الكبرى، تحقيق: سهيل كيالي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر (ب، ت).

ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: تشارلز توري، ليدن، ١٩٢٠م.

ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد، العقد الفريد، تحقيق: عبد المجيد الترحيبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٦م.

العصفري، خليفة بن خياط. تاريخ خليفة بن خياط، رواية بقي بن خالد، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣ هـ / ١٤١٤م.

ابن كثير، الحافظ أبو الفداء إسماعيل. البداية والنهاية، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه مأمون محمد

محمد عبد الهادي أبو ريذة، مراجعة حسين  
مؤنس، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة  
الثانية، القاهرة، ١٩٦٨

حمارنة، صالح. *مروان بن الحكم والخلافة*، مجلة  
دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العدد  
السادس، ١٩٨١.

دكسن، عبد الأمير دكسن. *الانقسامات في البيت  
الأموي (١٢٥ - ١٣٢ هـ - ٧٤٢ - ٧٥٠ م)*  
وأثرها في نهاية الخلافة الأموية في بلاد الشام،  
مجلة المؤرخ العربي، العدد السابع والأربعون،  
السنة التاسعة عشرة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

القرني، عبد الله بن محمد. "تقد أساس شبهة القدرية  
والجبرية في أفعال العباد"، مجلة جامعة أم  
القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية،  
العدد (٥٣) رمضان ١٤٣٢ هـ، ص ٣٨٣ -  
٤٢٠.

كاتبي، غيداء خزنة كاتبي. "انتقال الخلافة من  
السفيايين إلى المروانيين: قراءة في الروايات"،  
مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العددان  
٦٧ - ٦٨، ١٩٩٣.